الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور"يحي فارس" بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات ودروس عبر الخط

في مقياس البلاغة العربية

السنة الأولى ليسانس

تقديم الدكتور: حسين سعدودي

السنة الجامعية:

2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد ولد آدم أجمعين، أفصح من نطق بالضاد، والذي أكرمه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنزل عليه أبلغ كتاب، تحدى الله به العرب أرباب الفصاحة والبلاغة وغيرهم على أن يأتوا بمثله فلم يقدروا، وأعلنوا عجزهم عن مجاراته، وهو يجري على سننهم في كلامهم، وتصرفاته، وعلى آله الطيبين الطاهرين، والرضى عن أصحابه أجمعين، ومن اقتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد فهذه محاضرات ودروس في علم البلاغة العربية التي تربي الذوق، لطالب علم العربية، وبها يوقف على قوة وجمال كلام العرب الفصحاء شعرا ونثرا، ويوقف بعد ذلك على مراتب الإعجاز في كلام الله عزّ وجل، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي دروس دأبت على نشرها في "منصة التعليم عن بعد" جائحة الكورونا، وقد كنت درست هذا العلم محاضرة ودروسا تطبيقية في جامعة المدية وفي غيرها لسنوات ليست بالقليلة، تزيد على العقد. وآمل أن تكون هذه المحاضرات والدروس عونا لطلاب اللغة والأدب العربي، وأن يحقق بها النفع، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنه ولي كل ذلك، وهو يهدي إلى الصواب.

محاضرات ودروس في علم البلاغة العربية

المحاضرة الأولى:

مقدمات:

نشأة البلاغة العربية ومراحل التأليف فيها:

1- كان القرن الثاني الهجريّ أولَ عصرٍ شهد نشأة آراء كثيرة أصيلة ومترجمة حول البلاغة وعناصرها، بعد فساد الملكات، وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب، وفي تدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة. وأهم ما يؤثر من ذلك: وصية بشر بن المعتمر(ت: 210هـ) - وهو من زعماء المعتزلة - في البلاغة، وتفسير ابن المقفع(ت: 142هـ) للبلاغة، وتعريف العتابي(ت: 220هـ) لها، ووصية أبي تمام(ت: 231هـ) للبحتري(ت: 284هـ) تدخل في هذا الباب، ويقول البحتري: خير الكلام ما قلّ ودلّ ولم يملّ، وفي البيان للجاحظ(ت: 255هـ)، تحديد البلاغة كما يراها حكيم الهند، ويقسّمها الكندي فيلسوف العرب(ت: 260هـ) إلى ثلاثة أنواع: فنوع لا تعرفه العامة، ولا تتكلم به، ونوع بالعكس، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها. وذكر بزر جمهر حكيم الفرس فضائل الكلام ورذائله في كلمة مترجمة رواها صاحب الموازنة(ت: 370هـ). إلى آخر هذه الكلمات والآراء.

2- ثم ألّفت بعد ذلك كتب تجمع كثيرًا من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها. ومن هذه الكتب: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت: 207هـ)، و"الفصاحة" للدينورّيّ(ت: 280هـ)، و"التشبيه والتمثيل" للفضل بن نوبخت(ت: بعد 193هـ)، و"صناعة الكلام" للجاحظ، و"نظم القرآن"، و"التمثيل" له أيضًا، و"البلاغة وقواعد الشعر للمبرد(ت: 286هـ)، وفي "الكامل" إشارات لمسائل كثيرة في البلاغة، وكذلك "الرسالة العذراء" لابن المدبر(ت: 279هـ)، و"البلاغة" للحراني، وقواعد الشعر لثعلب(ت: 291هـ)، و"البلاغة والخطابة" للمروزي(ت: 274هـ)، و"المطابق والمجانس" لابن الحرون(ت: ؟)، و"تهذيب الفصاحة" لأبي سعيد الأصفهاني(ت: ؟)، و"إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه" للواسطي المعتزلي(ت: 306هـ)، و"صنعة البلاغة" للباحث، وللسيرافي(ت:

368هـ)، ونظم القرآن لابن الأخشيد(ت: ؟)، وكذلك لابن أبي داود(ت: 316هـ)، وكتاب الرد على من نفى المجاز في القرآن للحسن بن جعفر، ومن هذه الكتب أيضًا "المفصّل في البيان والفصاحة" للمرزباني(ت: 378هـ). على أن أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البلاغة بالبحث، أو التي ألفت فيها خاصّة هي: كتاب "جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي(ت: 170هـ)، ففي مقدمته بحوث موجزة طريفة تتصل بالبلاغة. وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وهو أهم ما ألّف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثرًا وشعرًا، وتتعرض لتحديد البلاغة بما حولها من آراء كانت ذائعة في عصر الجاحظ، وفيه كثير من بحوث البلاغة، فهو يعرف الاستعارة، ويتكلم على السجع، ويشير إلى التفصيل والتقسيم، والاستطراد والكناية، والأمثال والاحتراس، والقلب، والأسلوب الحكيم، والجاحظ أول من تكلم على المذهب الكلاميّ، ويرى البلاغة في النظم لا في المعاني، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون(ت: 808هـ)، والجاحظ يشيد بالإيجاز، كما يدعو في البيان كثيرًا إلى ترك الوحشيّ والسوقيّ، ويحثّ على الإفهام والوضوح، وعلى ترك التعمّق والتهذيب في صناعة الكلام، إلى غير ذلك من شتى ما دوّنه في البيان. ولا يضير الجاحظ أن كانت دراساته موجزة مفرقة، كما يقول أبو هلال العسكريّ(ت: 382هـ)، فهي على كلّ حالٍ ذاتُ أثرٍ كبيرٍ في نشأة البيان، وهي التي أوحت إلى كثير أن يعدّوا الجاحظ الواضع الأوّل لعلم البيان. ومن الخطأ التهوين بأثر الجاحظ في البيان كما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين.

3– وقد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز(ت: 296هـ)؛ الذي ألف كتابه القيم "البديع"، وثعلب(ت: 291هـ)؛ الذي ألف كتابه "قواعد الشعر"، وبعد قليل ظهر نقد النثر، كما ظهر "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر(ت: 337هـ)، ثم كتاب "الصناعتين" لأبي هلال المتوفى(ت: 395هـ)، ثمّ كتاب "الموازنة" للآمدي(ت: 370)، و"الوساطة" للجرجاني(ت: 392هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني(ت: 403هـ)، و"سرُّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجيّ(ت: 466هـ)، و"العمدة" لابن رشيق المسيليّ القيرواني(ت: 446هـ) وهما أكثر الكتب اتّصالًا بالبلاغة.

4– ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجانيّ(ت: 471هـ)، شيخ البلاغة العربية. فألّف في البلاغة كتابين جليلين هما:**1–** "أسرار البلاغة"، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع. **2–** "دلائل الإعجاز"، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني. كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضًا.

5 – وبعد عصر الجرجانيّ بحث الزمخشريّ(ت: 538هـ) في تفسيره(الكشّاف عن محاسن التأويل)، والرازي فخر الدين(ت: 606هـ) في كتابه "نهاية الإعجاز"، وابن الأثير(ت: 637هـ) صاحب "المثل السائر"، وبدر الدين بن مالك(ت: 686هـ) صاحب "المصباح"، والتنوخي(ت: 748هـ) صاحب "الأقصى القريب"، وكثير من العلماء، في البلاغة والفصاحة.

ومن أهمّ هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب السكاكيّ (ت: 626هـ) تلميذ الحاتمي(ت: 388هـ)، الذي ألف كتابه "المفتاح"، وجعله أقسامًا، وخصّ البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني، والبيان، والبديع. وبذلك تميزت علوم البلاغة، ومباحث كلِّ علمٍ منها بالتفصيل.

والفلسفة والمنطق تغلب على السّكاكيّ إلى حد كبير، من حيث كان يغلبُ الذوق والطبع على عبد القاهر الجرجاني.

وبذلك تنتهي مراحل التأليف والابتكار في بحوث البلاغة وتدوينها تدوينًا كاملًا.

6– وجاء الخطيب القزويني(ت: 739هـ)، فألّف في البلاغة كتابيه: "تلخيص المفتاح" و"الإيضاح". وقد ألّف "الإيضاح" ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح وجمع فيه كثيرًا من آراء عبد القاهر والسكاكيّ في شيء من التنظيم والشرح.

وعلى متن "التلخيص" كثرت الشروح والحواشي والتقارير، وفي مقدمتها "الأطول" للعصام السمرقندي(ت: 945هـ)، و"المطول" للسعد التفتازانيّ(ت: 793هـ) وشروح التلخيص وسواها....**وهذه أهم كتب البلاغة وشروحها في هذا العهد.** "قوانين البلاغة" لعبد اللطيف البغداديّ (ت: 629هـ)، و"التبيان" لابن الزملكانيّ (ت: 651هـ)، و"المعيار" للزنجانيّ(ت: 654هـ)، و"بديع القرآن" لابن أبي الأصبع(ت: 654هـ)، و"الفوائد

الغياثية" للعضد الإيجي(ت: 756هـ)، وشرحها الكرمانيّ(ت: 786هـ)، و"التبيان" لشرف الدين الطيبيّ(ت: 743هـ)، و"الطراز" ليحيى ابن حمزة العلوي(ت: 749هـ)، و"عروس الأفراح" للسبكيّ (ت: 773هـ)، و"السمرقندية" للسمرقنديّ(ت:880هـ)، وهي رسالة في الاستعارات.

9– شروح المفتاح للسكاكيّ. أ- شرحه بتمامه المولى حسام(ت: هـ). ب- وشرح القسم الثالث منه: الشيرازي(ت: 710هـ) في "مفتاح الفتّاح"، والترمذيّ(ت: هـ)، وهو معاصر للشيرازي، والخلخالي(ت: 745هـ)، والسعد(ت: 791هـ)، والسيد(ت: 816هـ) في "المصباح"؛ الذي ألفه عام 803هـ، وعماد الدين الكاشي(ت: هـ)، وله رسالة في حل المتشابهات التي أوردها الخطيب على المفتاح، والأبهري سلطان شاه(ت: هـ)، وطاشكبري زاده(ت: 962هـ)، وشيخ زاده(ت: 951هـ)، والشربيني (ت: 769هـ)، والخوارزمي(ت: هـ)، وقد فرغ منه عام 642هـ، والفناري(ت: 834هـ)، وله على شرحي السعد والسيّد تعليقات، وابن كمال باشام(: 940هـ)، وسواهم.

ج- واختصر القسم الثالث منه:

المعانيجي(ت: 990هـ)، والقزويني(ت: 739هـ)، والإيجي(ت: 756هـ). في "الفوائد الغياثيّة"، وبدر الدين ابن مالك(ت: 686هـ)، في "المصباح في اختصار المفتاح" ونظم "المصباح"للمراكشي(ت: هـ)، ثم شرحه وسمّاه "ضوء المصباح على ترجيز المصباح"، واختصر هذا المختصر ابن النحوية(ت: 718هـ)، وسماه "ضوء الصباح"، ثم شرحه في مجلدين في كتاب "إسفار المصباح عن ضوء المصباح"، ولمحمد بن خضر(ت: هـ) "مصباح الزمان في شرح المصباح".

هذا وقد ألّف السعدُ "المطوّل" على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني"، وانتهى من تأليفه عام: 748هـ، كما انتهى من تأليف مختصر المطوّل عام: 756هـ. وفرغ ابن يعقوب(ت: 1128هـ) من تأليف شرحه على مختصر السعد في مكناسة في المحرم 1108هـ. وانتهى ابن السبكي من تأليف شرحه "عروس الأفراح" على مختصر السعد في جمادى الأولى عام 758هـ. وانتهى الدسوقي(ت:) من كتابة شرحه على مختصر السعد في شوال عام 1210هـ.

8- يمتاز "الإيضاح" للخطيب القزويني بعدة ميزات ظاهرة: فهو أوفى كتاب في بحوث البلاغة، وهو أوضح الكتب المؤلفة فيها نظامًا وأسلوبًا، وهو كثير البحث والتعمق والاستنباط لأسرار البلاغة العربية، فوق أنه كتاب تطبيقي جميل في البلاغة، وينقد القزوينيّ فيه كثيرًا من آراء السكاكيّ، وإن كان يعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر والسكاكيّ كثيرًا. ومع ذلك فالخطيب يجمع في كتابه خلاصاتٍ لبحوث علماء البلاغة في شتى العصور حتى عصره، والكتاب بعد ذلك غزير المادة، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبلاغة والبيان.

وهناك مؤلفات جديدة ظهرت في البلاغة في عصر الحواشي، ومن بينها "عقود الجمان" للسيوطي(ت: 911هـ). كما ظهرت في العصر الحديث عدة مؤلفات في البلاغة فيها لون من التهذيب والتنسيق وحسن الأخذ والاختيار.

وبذلك تنتهي مراحل التأليف في البلاغة منذ نشأتها حتى الآن.

محاضرات في علم البلاغة:

مقدمة: (في معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة:

الفصاحة: تطلق في **اللغة** على معان كثيرة، منها البيان والظهور، قال اللهُ تعالى:﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[القصص: 34]؛ أي أبين منّي منطقاً وأظهر منَّي قولاً. ويقال: أفصح الصبي في منطقه. إذا بان وظهر كلامه. وقالت العرب: أفصح الصبح. إذا أضاء، وفصح أيضا. وأفصح الأعجمي: إذا أبان بعد أن لم يكن يُفصح ويُبين. وفصح اللحان. إذا عبر عما في نفسه، وأظهره على وجه الصواب دون الخطأ.

و**الفصاحة**: في **اصطلاح أهل المعاني**، عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشّعراء لمكان حسنها. وهي تقع وصفا للكلمة، والكلام، والمتكلّم، حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها. أو مسبوكة مع أخواتها.

فصاحة الكلمة (المفرد): تحصل فصاحة الكلمة بـ:

1. **خلوصها من تنافر الحروف**: لتكون رقيقة عذبة، تخف على اللسان، ولا تثقل على السمع، فلفظ «أسد» أخف من لفظ "فدوكس".
2. **خلوصها من الغرابة**: فتكون مألوفة الاستعمال.
3. **خلوصها من مخالفة القياس الصرفي**: حتى لا تكون شاذة.
4. **خلوصها من الكراهة في السمع**.

أما «**تنافر الحروف**»؛ فهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع، وصعوبة أدائها باللسان: بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج، وهو نوعان:

1. **شديد في الثقل**: كالظش (للموضع الخشن) ونحو: "همخع" أو "هعخع": "لنبت ترعاه الإبل" من قول أعرابي: تركت ناقتي ترعى الهمخع أو الهعخع.
2. و**خفيف في الثقل**: كالنقنقة «لصوت الضفادع» والنقاخ «للماء العذب الصافي»، ونحو: "مستشزرات؛ بمعنى: "مرتفعات" من قول امرئ القيس يصف شعر ابنة عمه [طويل]:

غدائرهُ مستشزراتٌ إلى العلا تضلّ العقاصُ في مُثنًى ومرسلِ

الغدائر: الضفائر، والضمير يرجع إلى (فرع) في البيت قبله. والاستشزار: الارتفاع[شزر]، والعقاص: جمع عقيصة، وهي الخصلة من الشعر، والمثنى: الشعر المفتول، والمرسل: ضده: أي ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى، وبعضه مرسل، وبعضه معقوص: أي ملوى.

ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم، والحس الصادق الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم.

وأمّا **غرابة الاستعمال**: فهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء؛ لأن المعول عليه في ذلك استعمالهم. والغرابة قسمان: **القسم الأول**: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة؛ لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.وذلك في الألفاظ المشتركة كـ"مسّرج" من قول رؤبة بن العجاج [رجز]:

ومقلةً وحاجباً مزجّجا وفاحماً ومرسنا مسرّجا

فلا يعلم ما أراد بقوله «مسرَّجا» حتى اختلف أئمة اللغة في تخريجه، فقال ابن دريد: يريد أنّ أنفها في الاستواء والدقة كالسيف السّريجي[سريج قين يصنع السيوف]. وقال ابن سيده: يريد أنه[الوجه كاملاً] في البريق واللمعان كالسراج.

فلهذا يحتار السامع في فهم المعنى المقصود لتردد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تُعيّن المقصود منهما. فلأجل هذا التردد، ولأجل أن مادة (فعَّل) تدل على مجرد نسبة شيء لشيء، لا على النسبة التشبيهيّة كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى، فصارت غريبة. **وأمّا مع القرينة فلا غرابة،** كلفظة «عزَّر» في قوله تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[الأعراف: 157] فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة. ولكن ذكر "النصر" قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يعاب استعماله لاحتياج السامع أو المتلقي إلى تتبع اللغات وكثرة البحث والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة المطولة»: «أ» فمنه ما يعثر فيها على تفسير بعد كدّ

وبحث نحو: "تكأكأتم"؛ بمعنى: "اجتمعتم" من قول عيسى بن عمرو النَّحوي: مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جِنَّةٍ افرنقعوا عنّي، ونحو "مشمخر" في قول بشر بن عوانة يصف الأسد [وافر]:

فَخَرَّ مُدَرَّجاً بِدَمٍ كأنّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًّا

«**ب**» ومنه ما لم يعثر على تفسيره نحو (جحلنجع) من قول أبي الهميسع [رجز]:

مِنْ طَمْحَةِ صَبِيرُهَا جحلنجع لم يحضها الجدول بالتنوع

وأمّا **مخالفة القياس** فهو كون الكلمة شاذَّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح مثل (الأجلل) في قول أبي النجم [رجز]:

الحمد لله العليّ الأجللِ الواحدِ الفردِ القديمِ الأوَّلِ

فإن القياس: "الأجل" بالإدغام، ولا مسوّغ لفكّه (ضرورة)، وكقطع همزة وصل «اثنين» في قول جميل[طويل]:

ألا لا أرى إثنين أحسنَ شيمةً عَلَى حدثان الدَّهر منّي ومن جَمَلْ

ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس، ولكنه فصيح.

لهذا لم يخرج عن الفصاحة لفظتا (المشرق والمغرب) بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا (المدهُن والمنحُل) والقياس فيهما "مِفْعَل" بكسر الميم وفتح العين، وكذا نحو قولهم: "عَوِر"، والقياس "عارَ": لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها.

و**أمَّا الكراهة في السمع**: فهو كون الكلمة وحشية، تأنفها الطباع، وتمجها الأسماع، وتنبو عنه كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة، كـ"الجرشّى" للنفس في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة [متقارب]:

مُبَارك الاسمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كريم الجرشَّى شريف النَّسبْ

وملخَّص القول: إن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة. ومن مخالفة القياس. ومن الابتذال، والضعف. فإذا لحق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وجب نبذها واطّراحها.

تطبيقات

قال الفرزدق[كامل]: وَإذا الرّجالُ رأوا يزيد رأيتهم خُضْعَ الرَّقَابِ نَوَاكِسَ الأبصار

في البيت مخالفة القياس الصرفي في "نواكس"؛ إذ أنَّها وصف لجمع مؤنث عاقل، والأصل "ناكسون" وصف جمع مذكر عاقل لِـ(ناكس)، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[السجدة: 12].

وقال أبو تمّام [بسيط]: قَد قلت لَمَّا اطلخمَّ الأمر وانبعثتْ عشواءَ تاليةً غبساً دهاريسا.

في البيت غرابة في كلمة "اطلخم" بعمنى اشتدَّ وعظم، وهي غليظة على السمع، كريهة على الذوق، وفي كلمة "دهاريس"؛ أي الدواهي. [العشواء الليلة المظلمة والغبس شديدة الظلام].

وقال شمر [طويل]: وأحمق ممن يكرع الماءَ قال لي دعِ الخمرَ واشربْ من نقاخ مُبَّرد.

في البيت غرابة في كلمة "نقاخ"؛ وهو الماء العذب.

قال تأبط شرًّا [طويل]: يَظَلُّ بموماةٍ وَيُمْسِي بغيرهَا جحيشا ويعروري ظُهورَ المسالكِ.

[المومَاة هي المفازة الواسعة، الجحيش: المستبد برأيه، يعروري يركب الفرس عريانا] في البيت غرابة في كلمة "جحيش" وهي منكرة قبيحة، وللشاعر مندوحة (سعة) عن استعمالها؛ إذ أنَّ كلمة"فريد" في معناها ووزنها.

قال المتنبي [طويل]: فلا يبرم الأمر الذي هو حاللٌ ولا يُحللُ الأمرُ الذي هو يبرم

[الإبرام هو العقد، وضده الحلّ]، في البيت مخالفة للقياس الصرفي في كلمة "حالل"، وفي كلمة "يحلل"؛ إذْ أنه فك الإدغام فيهما لغير موجب إلّا لإقامة الوزن.

قال المتنبي [طويل]: فإن يكُ بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بُوقاتٌ لَها وَطُبولُ

في البيت مخالفة للقياس الصرفي في كلمة "بوقات" جمعا لـ"بوقٍ"، وبوق تجمع على أبواق كسوق وأسواق ونور وأنوار وصور وأصوار.

قال زهير بن أبي سلمى [طويل]: نقيُّ تقيُّ لم يُكَثِّر غنيمةً بنكهة ذي القربى ولا بحقلَّدِ

الغرابة في كلمة "حقلّد"، وهو الرجل الضيق الخلق.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام: سلامته بعد فصاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه، ويحول دون المراد منه. وتتحقَّق فصاحته بخلُوه من ستة عيوب (1) تنافر الكلمات مجتمعة، (2) ضعف التأليف، (3) التعقيد اللفظي، (4) التعقيد المعنوي، (5) كثرة التكرار (6) تتابُع الإضافات. **الأول: تنافُر الكلمات مُجتمعة**: أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عَسرة النّطق بها مُجتمعةً على اللّسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً)، والتنافر يَحصُل: إمّا بتجاوُر كلمات متقاربة الحروف، وإمّا بتكرير كلمة واحدة. ومنه **شديد الثِّقل**: كالشطر الثاني في قوله: وَقبرُ حرب بمكان قفر وَليس قَرب قبر حربٍ قبرُ.

ومنه **خفيف الثِّقل** كالشطر الأول في قول أبي تمَّام [طويل]: كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدَحْه والورى=معي وإذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي.

الثاني: ضعف التأليف: أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء – كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعراف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة كقول المتنبي [كامل]:

خَلتِ البلادُ من الغزالةِ ليلَهَا فأعاضهَاكَ اللهُ كي لا تحزنا[الغزالة هي الشمس].

[وصل ضمير الغيبة بضمير الخطاب وتقديمه عليه، وضمير الخطاب أعرف من ضمير الغيبة]

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظا وَرتُبة وحكما في غير أبوابه نحو قوله [طويل]

ولو أن مَجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُه الدهرَ مطعما.

فالهاء في مجده تعود على (مطعما)، وهو متأخر في اللفظ والرتبة.

الثالث: التعقيد اللفظي: هو كون الكلام خفيّ الدّلالة على المعنى المراد به – بحيث تكون الألفاظ غير مُرتبة على وفق ترتيب المعاني. وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات؛ التي يجب أن تتجاور، ويتصل بعضها ببعض، وهو مذموم؛ لأنّه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللّائقة بها كقول المتنبي [طويل]:

جفخت وهم لا يجفخونَ بها بهم شيمٌ على الحسَب الأغر دلائلُ

أصله: جفخت (افتخرت) بهم شيمَ دلائل على الحسب الأغر وهم لا يجفخون بها.[فصل بين الفعل (جفخت) وبين (بهم) المتعلقة به بأجنبي هو الجملة (وهم لا يجفخون بها)]، وفي كلمة (جفخت) غرابة.

الرابع: التعقيد المعنوي: كون التركيب خفيَّ الدَّلالةِ على المعنى المراد؛ بحيث لا يفهم معناه إلاّ بعد عناء وتفكير طويل.

وذلك لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود؛ بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدّالة على المقصود؛ بأن يكون فهمُ المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم عُرفاً، كما في قول عبّاس بن الأحنَف [طويل]:

سأطلبُ بُعد الدار عنكم لتقرُبوا وتسكبُ عيناي الدُّموع لتجمُدا.

جعلَ سكبَ الدُموع كناية عمّا يلزم في فراق الأحبَّة من الحزن والكمد، فأحسن وأصابَ في ذلك، ولكنَّه أخطأ في جعل جمود العين كنايةً عمَّا يوجبه التَّلاقي من الفرح والسُرُور؛ بقُرب أحبتّه، وهو خفيٌّ وبعيدٌ؛ إذ لم يعرف في كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسرور (أن يقال له جُمدت عينك)، أو لا زالت عينك جامدةً، بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكنّى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنساء[متقارب].

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ألا تبكيانِ لصَخر النَّدى

وكما في قول أبي عطاء يرثى ابن هُبيرة [طويل]:

ألا إنَّ عيناً لم تجدُ يومَ واسط عليك بحاري دمعها لجمود.

وهكذا كل الكنايات التي تستعملها العرب لأَغراض ويُغَيرها المتكلمُ، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سُنن العرب في استعمالاتهم، ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى؛ حيث لا يكون المراد بها واضحاً.

الخامس: كثرة التكرار: كون اللفظ الواحد اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً. وسواء أكان الاسم: ظاهرًا أو ضميراً، تعدّد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة كقوله [رجز]: إنّي وأسطارٍ سُطرنَ سَطراً لَقائلٌ يا نصْرُ نصرُ نصراً.

وكقول المتنبي[بسيط]: أقِلْ أنِلِ اقْطِعِ احْمِلْ عَلَّ سل أعد زد هشَّ بش تفضَّلُ أدْنِ سُرَّ صِلِ

وكقول أبي تمَّام في المديح [بسيط]: كأنَّه في اجتماع الرُّوح فيه لَهُ في كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ

السادس: تتابعُ الإضَافات: كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلة غالباً، كقول ابن بابك:

حمامَةَ جَرعا حَومةِ الجَندَلِ اسجَعِي فأنتِ بمرأى من سُعادَ ومَسمع

وملخَّصُ القول: إنَّ فصاحة الكلام تكون بخُلوَّه من تنافر كلماته، ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه في غير المواضع اللائقة بها.

تطبيق: بين العيوب التي أخلَّت بفصاحة الكلام فيما يأتي.

لك الخيرُ غيري رَامَ من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقيَّة لاحقُ[طويل][تكرار]

وَازورَّ مَن كانَ له زائراً وعافَ عافى العُرف عِرفانُه [سريع][تكرار]

قال المتنبي [كامل]: أنَّى يكونُ أبا البريَّةِ آدمُ وأبوكَ والثَّقَلاَنِ أنتَ محمدُ[تعقيد لفظي: تقديم وتأخير وفصل بأجنبي، والأصل: أنى يكون آدم أبا البريّة وأنت الثقلان وأبوك محمدُ]

قال المتنبي [طويل]: وَمِنْ جَاهلٍ بي وَهْوَ يجهَلُ جَهْلَهُ ويَجهل عِلمي أنّه بيَ جاهلُ[كثرة التكرار]

قال المنتبي [طويل]: فَقَلْقَلْتُ بالهمِّ الذي قَلقَلَ الحَشاقَلاَقلَ همّ كلَّهنَّ قَلاَقلُ[تكرار في الكلمات والحروف]

قال الفرزدق [طويل]: وما مِثلهُ في النَّاس إلا مُمَلَّكاً أبو أمّهِ حيٌّ أبوه يقاربُهْ

[تعقيد لفظيّ: تقديم وتأخير وفصل بالأجنبيّ، والأصلُ: وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلَّا مملكاً أبو أمه أبوه]

قال الفرزدق [طويل]: إلى مَلك ما أمُّه من مُحَارب أبوه ولا كانت كُلَيبٌ تُصاهرُه

[تعقيد لفظيّ: تأخير وتقديم، والأصل: إلى ملك أبوه ما أمُّه من محارب ولا كانت كليب تصاهره]

قال المتنبي[خفيف]: ليسَ إلَّاكَ يا عليُّ هُمامٌ سيَفهُ دُونَ عِرضِهِ مسلولُ

[في البيت ضعف تأليف؛ أي مخالفة قواعد النحو العربي، وذلك في وصل ضمير نصب منفصل بعد إلَّا ضرورة، والأصل: ليس إلَّا إيّاك يا عليٌّ]

قال الشاعر [طويل]: كَسَا حِلمَهُ ذَا الحلمَ أثوابُ سُؤدُدٍ وَرَقَّى نَدَاهُ ذا النَّدَى في ذُرا المجدِ.

[في البيت ضعف تأليف في عود الضمير في (حلمه) على (ذا الحلم)، وهو متأخر لفظا ورتبة]

فصاحة المتكلم: فصاحة المتُكلِّم: عبارةٌ عن الملكة التي يقتدرُ بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان. فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام، مُتمكّناً من التّصرف في ضُروبه، بصيراً بالخوض في جهاته ومَنَاحِيه.

البلاغة

البلاغة في اللغة" الوُصول والانتِهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى اليها. وَمبلغ الشيء منتهاه. وبلغ الرجل بلاغةً فهو بليغ، إذا أحسَن التّعبير عمَّا في نفسه، وتقع البلاغة في **الاصطلاح:** وصفا للكلام والمتكلّم فقط، ولا توصف "الكلمة" بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلَّم إلى غرضه، ولعدم السّماع بذلك.

بلاغة الكلام:

البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه؛ مفردها ومركبها.

والكلام البليغ: هو الذي يُصورَّه المتُكلِّم بصورة تناسبُ أحوال المخاطبين. وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورة مخصوصة دون

أخرى. والمقتضَى «ويسمى الاعتبار المناسب» هو الصورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارة. مثلاً المدحُ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكلٌ من المدح والذكاء «حال ومقام»، وكلٌ من الإطناب والإيجاز «مُقتضَى»، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز «مُطابقة للمقُتضَى»، وليست البلاغة إذاً مُنحصرة في إيجاد معان جليلة، ولا في اختيار ألفاظ واضحة جزيلة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً، هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ؛ مما يُكسبها قوَّة وجمالا. **وملخص القول**: إنَّ الأمر الذي يَحملُ المتكلّم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى: يُسمى «حالا»، وإلقاء الكلام على هذه الصُّورة؛ التي اقتضاها الحال يُسمى «مُقتضًى»، **والبلاغة هي مُطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال**.

بلاغة المتكلم: بلاغة المتكلم هي مَلَكة في النَّفس يقتَدرُ بِهَا صاحبها على تأليف كلام بليغ مُطابق لمقتَضَى الحال، مع فصاحته في أيّ معنى قَصَده، وتلك غاية لن يَصِل إليها إلَّا من أحاط بأساليب العرب خُبراً، وعرف سُننَ تخاطُبهم في مُنافراتهم ومفاخراتهم، ومديحهم وَهجائهم، وَشكرهم واعتذارهم، لِيلَبس لكل حالةٍ لبُوسها، «**ولِكُلِّ مقام مَقالٌ**».

علم المعاني

تعريف علم المعاني: علم المعاني أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقاً لِمقتضى الحال؛ بحيث يكون وفق الغَرضِ الذيِ سيقَ له. **فذكاء المخاطب**: حال **تَقتضي إيجاز** القول، فإذا أوَجزتَ في خطابه كان كلامك **مطابقاً لمقتضى الحال**، و**غباوته حال** تقتضي **الإطناب والإطالة**، فإذا جاء كلامك في مخاطبته **مطنباً**: فهو **مطابق لمقتضَى** الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغاً، وَلو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

موضوعه: اللَّفظُ العربي؛ من حيثُ إفادتُه **المعاني الثَّواني**. التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللَّطائف والخصوصيّات، التي بها يُطابقُ مُقتضى الحال.

فائدته: أ/ معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصَّهُ الله به من جودة السبَّك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكيب، ولُطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سُهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعُذوبِة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته، وحارتَ عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته. **ب**/ الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في مَنثور كلام العرب ومنظومه، كي تحتذيَ حذوه، وتَنسُجَ على منواله، وتُفرّقَ بين جَيّد الكلام وَرديئه.

واضعه: الشيخ عبد القاهر الجُرجاني المتوفى سنة 471هـ.

استمداده: من الكتاب الشَّريف، والحديث النَّبوي وكلام العرب.

و**المعاني جمعُ معنىً**، وهو في اللغة: المقصود، وفي اصطلاح البيانيين هو التّعبير باللفظ عمَّا يتَصوَّره الذَهن، أو هو الصورة الذهنية، ولكل جملة رُكنان: **مسندٌ**، ويسمّى محكوماً به، أو مُخبراً به، **ومُسندٌ إليه**، ويسمى محكوماً عليه، أو مُخبرا عنه وأمّا النسبة التي بينهما فتُدعى إسناداً، وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول وحال، وتمييز ونحوها فهو **قيدٌ** زائد على تكوينها إلَّا صِلَة الموصول، والمضاف إليه. و**الإسناد** انضمامُ كلمةٍ هي "المسند" إلى أخرى هي "المسند إليه" على وَجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى، ثُبوتاً أو نفياً، نحو: "الله واحدٌ لا شريك له". **ومواضع المسند ثمانية:** (1) خبر المبتدأ نحو: «قادرٌ» من قولك: "الله قادرٌ". (2) والفعل التام نحو: "حضر" من قولك: "حضر الأميرُ". (3) واسم الفعل نحو: "هيهات"[اسم فعل ماض معناه: بَعُدَ]، وَ"وَي"[اسم فعل مضارع معناه: أعجبُ] و"آمينَ"[اسم فعل أمر معناه: استجب]. (4) والمبتدأ الوصفُ المستغني عن الخبر بمرفوعه نحو: "عارف" من قولك: "أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف". (5) وَأخبار النَّواسخ: "كان وأخواتها"، و"إنَّ وأخواتها". (6) والمفعول الثاني "لظنّ وأخواتها". (7) والمفعول الثالث لِـ"أرَى وأخواتها". (8) والمصدر النّائب عن فعل الأمر نحو: "سعياً في الخير".

وَمواضع المسند إليه ستة: (1) الفاعلُ للفعل التّام أو شبهه نحو: "زيدٌ، وأبوه" من قولك: "حضر زيدٌ العالم أبوه". (2) وأسماء النَّواسخ: "كان وأخواتها"، و"إنَّ وَأخواتها" نحو: "المطرُ" من قولك: "كان المطر غزيراً"، ونحو: "إنّ المطرَ غزيرٌ". (3) والمبتدأ الذي له خبر نحو: "العلم" من قولك: "العلم نافع". (4) والمفعول الأول لـ"ظنّ وأخواتها". (5) والمفعول الثاني لـ"أرَى وأخواتها". (6) ونائب الفاعل كقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾[الزمر: 69].

ثمَّ إن المسند والمسند إليه يتنوعان إلى أربعة أقسام: (1) إمّا أن يكونا كلمتين حقيقةً كما في الأمثلة السالفة. (2) وإما أن يكونا كلمتين حُكماً نحو: "لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار"؛ أي «توحيدُ الإله نجاة من النار». (3) وإما أن يكون المسند إليه كلمة حكماً، والمسند كلمةً حقيقةً نحو: "تسمعُ بالمعيذيّ خيرٌ من أن تراه"؛ أي: "سماعك بالمعيذي خير من رؤيته". (4) وإمّا بالعكس نحو: "الأمير قرُب قدومه"؛ أي: "الأميرُ قريبٌ قدومه".

ويُسمى المسند، والمسند إليه ركني الجملة. وكل ما عداهما يعتبر قيداً زائداً عليها.

وينحصر علم المعاني في ثمانية أبواب: أولها: أحوال الإسناد الخبري. وثانيها: أحوال المسند إليه. وثالثها: أحوال المسند. ورابعها: أحوال متعلقات الفعل. وخامسها: القصر. وسادسها: الإنشاء. وسابعها: الفصل والوصل. وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة.

ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه أما أن يكون الأول الخبر، والثاني الإنشاء. ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند. وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى. ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلًا أو متصلًا به، أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه، وهذا هو الباب الرابع. ثم الإسناد والتعلّق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس، والإنشاء هو الباب السادس. ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن.

المبحث الأول في حقيقة الخبر:

الخبرُ: كلامٌ يحتملُ الصدق والكذب لذاته. وإن شئت فقل: الخبرُ هو ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النطق به نحو: "العلم نافعٌ"، فقد أثبتنا صفة النَّفع للعلم، وتلك الصَّفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفّظ)؛ لأن نفع العلم أمرٌ حاصل في الحقيقة والواقع، وإنما أنت تحكي ما اتَّفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع، وهدت إليه العقولُ، بدون نظر إلى إثبات جديد. والمراد: **بصدق الخبر** مُطابقته للواقع ونفس الأمر. والمراد **بكذبه** عدم مطابقته له، فجملة: "العلم نافع" إن كانت نسبتُه الكلاميَّة (وهي ثبوت النفع المفهومة من تلك الجملة) مطابقةً للنسبة الخارجيّة؛ أي موافقة لما في الخارج والواقع فصدقٌ، وإلا فكذبٌ نحو: "الجهل نافع"، فنسبته الكلامية ليست مطابقةً وموافقةً للنسبة الخارجية.

المقاصد والأغراض التي من أجلها يُلقى الخبر: الأصلُ في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

(أ) **إما إفادة المخاطب** الحكمَ الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له، ويسمى هذا النوع: "**فائدةَ الخبر**" نحو: "الدين المعاملةُ".

(ب) **وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم** أيضا بأنه **يعلم الخبر** كما تقولُ لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان، وعلمته من طريق آخر: "أنت نجحت في الامتحان"، ويسمى هذا النوع: "**لازمَ الفائدة**"؛ لأن يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام أهمها:

(1) الاسترحام والاستعطاف نحو: "إني فقير إلى عفو ربي".

(2) وتحريكُ الهمة إلى ما يلزم تحصيله نحو: "ليس سواء عالم وجهول".

(3) وإظهار الضعف والخشوع نحو قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[مريم: 14].

(4) وإظهار التحسر على شيء محبوب نحو قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾[آل عمران: 36].

(5) وإظهار الفرح بمقبل، والشماتة بمدبر نحو: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾[الإسراء: 81].

(6) والتوبيخ كقولِنا للعاثر: "الشمس طالعةٌ".

(7) التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت نحو: "لا يستوي كسلان ونشيط".

(8) التحذير نحو: "أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق".

(9) الفخر نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفاني من قريش".

(10) المدح كقول النابغة[طويل]: فإنَّك شمس والملوك كواكب إذا طَلَعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقد يجيء لأغراض أخرى والمرجع في معرفة ذلك إلى العقل والذوق السليم.

المبحث الثاني في كيفية إلقاء المتكلم الخبر للمخاطب:

حقّ الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائداً عنها؛ لئلا يكون عبثاً، ولا ناقصاً عنها؛ لئلا يخلّ بالغرض، وهو (الإفصاح والبيان). لهذا تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب؛ الذي تعتريه ثلاث أحوال:

أولا- أن يكون المخاطب **خالي الذهن** من الخبر غير متردد فيه، ولا منكر له، وفي هذه الحال **لا يؤكد له الكلام**، لعدم الحاجة إلى التوكيد نحو قوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف: 46]. ويسمّى هذا الضرب من الخبر "**ابتدائياً**"، ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب **خالي الذهن** من مدلول الخبر، فيتمكن فيه لمصادفته إياه خالياً.

ثانياً- أن يكون المخاطب **متردداً في الخبر**، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته، فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم، ليتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: "إنّ الأمير منتصرٌ". ويسمّى هذا الضرب من الخبر "**طلبياً**". ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكًّا في مدلول الخبر، طالباً التثبت من صدقه.

ثالثاً- أن يكون **المخاطب منكراً** للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثرَ، على حسب حاله من الإنكار قوة وضعفاً نحو: "إن أخاك قادمٌ"، أو "إنه لقادمٌ"، أو "والله إنه لقادم"، أو "لعمري إنّ الحق يعلو، ولا يُعلى عليه". ويسمّى هذا الضرب من الخبر **"إنكارياً"**، ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب مُنكرا، وكما يكون **التأكيد في الإثبات**، يكون في **النفي** أيضاً نحو: "ما المقتصد بمفتقرٍ"، ونحو: "والله ما المستشير بنادم".

تنبيهات:

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها "**إنّ**، و**أنّ**، و**لام** الابتداء، و**أحرف التنبيه**[ها، ألا، أما]، و**القسم**، و**نونا** التوكيد، و**الحروف** الزائدة (مِن، والباء) و**التكرار**، و**قد**، و**أمّا** الشرطية، و**إنّما** و**اسمية الجملة**، و**ضمير** الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي.

الثاني: يسمّى إخراج الكلام على الأضرب الثّلاثة السابقة إخراجاً على مقتضى ظاهر الحال. وقد **تقتضي الأحوال العدول** عن مقتضى الظاهر، ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة).

(1) منها: **تنزيل العالم بفائدة الخبر**، أو لازمها، أو بهما معاً منزلة الجاهلِ بذلك، لعدم جريه على موجب علمه، فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل به، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة، وهو لا يصلي: "الصلاة واجبة" توبيخاً له على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك لمن يؤذي أباه: "هذا أبوك".

(2) ومنها: **تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد**، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[يوسف: 53]، فمدخول "إنَّ" مؤكد لمضمون ما تقدمه، لإشعاره بالتردد، فيما تضمنه مدخولها، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾[هود: 37]. لَمَّا أمر المولى "نوحاً" عليه السلام أوّلا بصنع الفلك، ونهاه ثانيا عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار مع كونه غيرَ سائل في مقام السائل المتردد. هل حكم الله عليهم بالإغراق؟ فأجيب بقوله: «إنهم مغرقون».

(3) ومنها: **تنزيل غير المنُكر منزلة المنكر**: إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نضلَة القيسي من أولاد عَمّ شقيق[سريع]: جاء شَقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ إنَّ بني عَمّك فيهم رماح

(فشقيقٌ) رَجلٌ لا يُنكر رماحَ بني عمّه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعاً رُمحَه على فخذيه بالعرض، وهو راكب أو حَاملا له عرضاً على كتفه في جهة العدُو بدون اكتراثه به بمنزلة إنكاره أنَّ لبني عمّه رماحاً، ولن يجد منهم مُقاوماً له كأنهم كلهم في نظره عُزلٌ، ليس مع أحد منهم رمحٌ. فأكَد له الكلامُ استهزاء به، وخُوطبَ خطابَ التفات بعد غيبةٍ تهكما به، ورمياً له بالنزق، وخرق الرَّأي.

(4) ومنها **تنزيل المتردد** منزلة الخالي، كقولك للمُتردد في قدوم مسافر مع شهرته: "قدم الأمير".

(5) ومنها **تنزيل المتُردد منزلة المنكر**، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج: "إنَّ الفرجَ لقريبٌ".

(6) ومنها **تنزيل المنكر منزلة الخالي**، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع وزال إنكاره، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[البقرة: 163]، وكقولك لمن ينكر منفعة الطب: "الطب نافع".

(7) **ومنها تنزيل المنكر منزلة المتردد**، كقولك لمن ينكر شرف الأدب إنكاراً ضعيفا: "إن الجاه بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وأمَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك".

الثالث: قد يؤكد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار، كقولك في افتتاح كلام: "إنّ أفضل ما نطق به اللسان كذا".

تطبيقات:

بين أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتي:

(1) قال الشاعر [كامل]: قومي هُمُ قتلوا أميمَ أخي فإذا رميتُ يُصيبني سهمي[تحسر من موت أخيه بيد قرابته]

(2) قال الشاعر [كامل]: قد كنت عدَّتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي[إظهار الضعف].

(3) قال المتنبي [طويل]: أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى وآمل عزًّا يخضب البيض بالدِّم[الاسترحام].

(4) قال الشاعر [بسيط]: كفى بجسمي نُحولا أنني رجل لولا مُخاطبتي إياكَ لم ترني[إظهار الضعف].

(5) قال الشاعر [طويل]: وأنت الذي ربيّت ذا الملك مرضعا وليسَ له أم سواك ولا أب[لازم الفائدة].

(6) قال لبيد [كامل] ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلْفٍ كجلد الأجرب[التحسر].

قال الشاعر [كامل]: إن كان لا يرجوك إلاّ محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم[التضرع].

قال الشاعر [كامل]: أدعوك ربِّ كما أمرت تضرعا فَإذا ردَدت يدي فمن ذا يرحم[التضرع].

قال الشاعر [وافر]: ظمئتُ وفي فمي الأدبُ المصفّى وضِعتُ وفي يدي الكنزُ الثمين[التذمر].

نموذج في بيان مقاصد وأغراض الأخبار:

(1) كَان معاويةُ رَضي الله عنه حسن السياسة والتدبير يحلم في مواضع الحلم ويشتد في مواضع الشدة. [الإفادة].

(2) لقد أدبت بنيك باللين والرفق، لا بالقسوة والعقاب [لازم الفائدة].

قال الشاعر [طويل]: ولما دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر[الشكوى].

قال الشاعر [طويل]: فإن ينقطع منك الرجاء فإنّه سَيبقى عليك الحُزنُ ما بقى الدهر [إظهار الحزن].

(3) توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة [الفائدة].

(4) قال أبو فراس الحمداني[طويل]: وَمكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزلُ الأضياف [الفخر].

(5) وقال أبو الطيب [طويل]: ومَا كلُّ هاوٍ للجميل بفاعل وَلا كلُّ فعّالٍ له بمتمّمِ [الإفادة]

(6) وقال أيضاً يرثي أخت سيف الدولة [بسيط]:

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد بمن أصبت وكم أسكتّ من لجبِ [إظهار الحزن].

(7) وقال أبو العتاهية يرثي ولده علياً [وافر]: بكيتك يا عليّ بدمعِ عيني فما أغنى البُكاءُ عليك شيا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا [إظهار الحزن].

(8) قال الشاعر [سريع]: إنَّ الثمانينَ وَبُلّغتها قدْ أحوجت سمعي إلى ترجمان [إظهار الضعف والعجز].

(9) قال أبو العلاء المعري[طويل]: ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على أنني بين السماكين نازلُ [الفخر].

(10) قال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون[مجتث]: أتيتُ جُرماً شنيعاً وأنتَ للعفوِ أهلُ

فَإن عفوتَ فمنٌّ وإن قتلتَ فعدلُ [الاسترحام والاستعطاف].

دروس في علم المعاني

الباب الثالث في أحوال المسند إليه

المسند إليه: هو المبتدأ الذي له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماؤه. وأحواله هي: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتّقديم، والتأخير وغيرها، وفي هذا الباب عدة مباحث.

المبحث الأول في ذكر المسند اليه: كل لفظٍ يدلّ على مَعنى في الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المُراد به، فلهذا يُذكر المسندُ إليه وجوبا حيث إنَّ ذكرهُ هو الأصل ولا مقتضى للحذف، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه

وإلا كان الكلام مُعمًّى مبهماً، لا يستبينَ المرادُ منه وقد يترجح الذكر مع وجود قرينة تمكن من الحذف، حين لا يكون منه مانع، فمن مُرجحّات الذكر:

1-زيادةُ التقرير والإيضاح للسامع كقوله تعالى: ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[البقرة: 5]، وكقول الشاعر[طويل]: هو الشمس في العليا هو الدهر في السطا هو البدرُ في النادي هو البحر في الندى

2-قلة الثقة بالقرينة: لضعفها أو ضعف فهم السامع نحو: سعدٌ نعم الزعيم: تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره.

3-الرَّد على المُخاطب: نحو: "الله واحدٌ"، ردا على من قال: الله ثالث ثلاثة.

4-**التَّلذذُ:** نحو: "الله ربي"، "الله حسبي".

5-**التعريضُ بغباوة السامع:** نحو: "سعيدٌ قال كذا" في جواب: "ماذا قال سعيد؟

6-التسجيل على السامع: حتّى لا يتأتى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا؟ فيقول الشاهد: نعم زيد هذا أقر بأنّ عليه كذا.

7–التعجب: إذا كان الحكم غريباً نحو: "عليٌّ يقاوم الأسد" في جواب من قال: "هل عليٌ يقاوم الأسد؟

8–التعظيم: نحو: "حضر سيفُ الدّولة" في جواب من قال: "هل حضر الأمير؟

9–الإهانة: نحو: "السَّارق قادم"، في جواب من قال: "هل حضر السَّارق"؟

المبحث الثاني في حذف المُسند اليه

الحذف خلاف الأصل، ويكون لمجرَّد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على وجود قرينة تدُلّ على المحذوف، وهو قسمان

«أ» **قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب**: كقولهم: "أهلا وسهلا" فإن نصبهما يدلّ على ناصب محذوف، يُقدر بنحو: "جئت أهلا، ونزلت مكاناً سهلاً"، **وليس هذا القسم من البلاغة في شيء.**

«ب» **وقسم لا يظهر فيه المحذوف عند الاعراب**: وإنما تعلم مكانه إذا أنت تصفحت المعنى، ووجدتَه لا يتمّ إلّا بمراعاته، نحو يعطي، ويمنع أي: يُعطى من يشاء، ويمنع من يشاء"، ولكن لا سبيل إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته زالت البهجة، وضاع ذلك الرَّونق.

ومن دواعي الحذف إذا دلت عليه قرينة، وتعلّق بتركه غرض من الأغراض الآتية:

1–ظهوره بدلالة القرائن عليه: نحو قوله تعالى: ﴿ فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ﴾[الذاريات: 29]، أي: أنا عجوز.

2–إخفاءُ الأمر عن غير المخاطب نحو: "أقبل"، تُريد "عليا مثلا".

3–تيسر الإنكار إن مسَّت إليه الحاجة: نحو: "لئيم خسيس" بعد ذكر شخص، لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردته ولا قصدته.

4–الحذر من فوات فرصة سانحة: كقول منبه الصيّاد: "غزالٌ"؛ أي: "هذا غزال".

5–اختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه: نحو: "نوره مستفادٌ من نور الشمس"، أو "هو واسطة عقد الكواكب"؛ أي: "القمر" في كلّ من المثالين.

6–ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع، كقوله: قال لي: كيف أنت، قلت عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحُزنٌ طويل.

7–المحافظة على السجع: نحو: من طابت سريرتُه، حمدت سيرتُهُ. [الأصل: حمد الناس سيرتَه]

8–المحافظة على قافية: كقوله [طويل]: وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ
ولابُدَّ يوماً أن تردَّ الودائعُ

9–المُحافظة على وزن: كقوله [طويل]: على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى وأخلص منه لا عليَّ ولاَ ليا. [لا علي شيء ولا لي شيء].

10–كون المسند إليه معيناً معلوماً حقيقة نحو: ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾[الرعد: 9]، أي: "الله"، أو معلومًا «ادعاءً» نحو: "وهَّابُ الألوف"؛ أي "فلان".

11–اتّباع الاستعمال الوارد على تركه: نحو: "رميةٌ من غير رام"؛ أي: "هذه رمية"، ونحو: "نعم الزعيم سعدٌ": أي "هو سعدٌ".

12–إشعار أنّ في تركه تطهيراً له عن لسانك، أو تطهيراً للسانك عنه، مثال الأول: "مُقررٌ للشرائع، موضحٌ للدّلائل"، تريد: "صاحب الشريعة" ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿ صمٌ بُكمٌ عُميٌ ﴾[البقرة: 18].

13–تكثيرُ الفائدة نحو: "فصبرٌ جميل"؛ أي: "فأمري صبر جميل" .

14–تعيُّنه بالعهدّية: نحو قوله تعالى: ﴿ واستوت على الجودي ﴾[هود: 44]؛ أي: السفينة، ونحو قوله تعالى: ﴿ حتّى توارتْ بالحجاب﴾[ص: 32]؛ أي: الشمس.

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبي، فهو الذي يُوحي إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان.

تطبيقات

بين أسباب ذكر وحذف المسند إليه في الأمثلة الآتية:

1–قال الله تعالى: ﴿ وإنَّا لا ندري **أشرٌ أريدَ** بمن في الأرض أم **أراد بهم ربهم رشداً** ﴾[الجن: 10].

2–الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمُقابلتك. 3–الأمير نشر المعارف، وأمّن المخاوف. 4–مُحتالٌ مُراوغٌ. 5–منضجةٌ للزَّرع، مُصلحة للهواء.

6–قال الشاعر [وافر]: فعباس يَصُدُّ الخطب عنّا وعباس يجير من استجارا

7–خلقَ فسوَّى، 8–مقرّر للشرائع، موضح للدلائل. 9–قال الله تعالى: ﴿ ولو شاء لهداكُم أجمعين ﴾[النحل: 9].

10–قال الشاعر [طويل]: وإني من القوم الذين همُ همُ إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبه

11–قال الشاعر[كامل] إن حلَّ في رومٍ ففيها قيصرٌ أو حلّ في عرب ففيها تُبعُ

12–قال الشاعر [طويل]: تُسائلني ما الحبُّ قلت عواطفٌ منوّعة الأجناس موطنها القلبُ

وضّح دواعي الحذف في التراكيب الآتية:

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتهم حكَّم في أموالهم وأقربُ

أما والذي أبكى واضحَكَ والذي أماتَ وأحيا والذي أمرهُ أمرُ

المبحث الثالث في تعريف المسند إليه: حقُ المسند إليه: أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكونَ الحكم مفيداً. وتعريفه إمّا: بالإضمار، وإمّا بالعَلَمِيَّة، وإمّا بالإشارة، وإمّا بالموصوليّة، وإمّا بأل، وإمّا بالإضافة، وإمّا بالنداء.

المبحث الرابع في تعريف المسند إليه بالإضمار: يُؤتى بالمسند إليه ضميرا لأغراض:

(1) لكون الحديث في مقام «التكلُّم»؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: (أنا النبيّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطَّلب).

(2) أو لكون الحديث في مقام «الخطاب» كقول الشاعر [طويل]:

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمتّ بي من كان فيك يَلومُ

(3) أو لكون الحديث في مقام «الغيبة» لكون المسند إليه مذكورا، أو في حكم المذكور لقرينة، نحو: هو اللهُ تبارك وتعالى ولابدَّ من تقدّم ذكره. «أ» إمَّا لفظاً كقوله تعالى: ﴿ واصبر حتى يحكُم الله بيننا وهوَ خيرُ الحاكمين ﴾.

«ب» وإما معنًى، نحو قوله تعالى: ﴿ وإن قيل لكمُ ارجعُوا فارجِعوا هو أزكى لكُم ﴾، أي: الرجوع.

ونحو قوله عزّ وجلّ: ﴿ اعدلوا هو أقربُ للتقوى ﴾، أي: العدل.

«ج» أو دلت عليه قرينة حال، كقوله تعالى: ﴿ فلهُنَّ ثُلثُا مَا تَرَكَ ﴾، أي: الميت.

تنبيهات: الأول: الأصل في الخطاب أن يكون لمشاهدٍ مُعين. نحو: "أنت استرققتني بإحسانك". وقد يُخاطب:

«أ» غيرُ المشاهد إذا كان مُستحضراً في القلب نحو: «لا إله إلا أنت»، ونحو قوله [بسيط]:

جودي بقربك أبلغ كل أمنيتي أنت الحياة وأنتِ الكون أجمعهُ

«ب» وغير المعُين: إذا قُصد تعميمُ الخطاب لكلِّ من يمكن خطابه على سبيل البدل؛ لا التناول دفعة واحدة؛ كقول المتنبي [طويل]:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الثاني: الأصلُ في وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره، وقد يعدل عن هذا الأصل: فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة. «أ» منها تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوّقه إليه، كقوله: «هي النفس ما حملتها تتحملُ». و"فأنها لا تعمى الأبصار"، و"نعم رجلا عليٌ"، فالفاعل ضمير يفسره التمييز، ويطَّرد ذلك في بابي "نِعْمَ" و"بئس"، وفي باب ضمير الشأن، نحو قوله تعالى: ﴿ هو الله أحد ﴾.

«ب» ومنها ادّعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، نحو: "أقبل وعليه الهيبة والوقار". ونحو قول الشاعر[كامل]:

أبت الوصال مخافة الرقباء وأتتكَ تحتَ مدارع الظلماء

ويسمى هذا العدول بالإضمار في مقام الاظهار.

الثالث: يوضع الظاهر سواء أكان علما، أو صفة، أو اسم إشارة موضع الضمير، لأغراض كثيرة: (1) منها إلقاء المهابة في نفس السامع، كقول الخليفة: أمير المؤمنين يأمر بكذا. (2) وتمكين المعنى في نفس المخاطب، نحو: "الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا". (3) ومنا التلذذ كقول الشاعر [طويل]:

سقى الله نجداً والسلام على نجدِ وَيا حبذا نجدٌ على القُرب والبعدِ

(4) ومنها الاستعطاف، نحو: "اللهم عبدك يسألك المغفرة"؛ أي: "أنا أسألك"، ويسمّى هذا المدلول بالإظهار في مقام الإضمار.

المبحث الخامس في تعريف المسند إليه بالعلميَّة:

يُؤتى بالمسند إليه علماً: لإحضار معناه في ذهن السامع، ابتداء باسمه الخاصّ ليمتاز عمّا عداه، كقوله تعالى: ﴿ وإذ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسماعيلُ ﴾.

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تناسب المقام: (1) كالمدح في الألقاب التي تشعر بذلك، نحو: "جاء نصرٌ"، و"حضر صلاح الدين". (2) والذَّم والإهانة، نحو: "جاء صخرٌ" و"ذهب تأبط شرّا". (3) والتَّفاؤل، نحو: "جاء سُرور". (4) والتشاؤم، نحو: "حرب في البلد". (5) والتبرُّك، نحو: "اللهُ أكرمني"، في جواب: "هل أكرمك الله؟" (6) والتَّلذُذ، كقول الشاعر [بسيط]:

بالله يا ظبيات القاعِ قُلن لنا ليلاي منكنَّ أم ليلى من البشر.

(7) والكناية عن معنًى يصلح العَلَم لذلك المعنى بحسب معناه الأصلي قبل العلمية، نحو: "أبو لهب فعل كذا". كناية عن كونه جهنميًّا؛ لأنّ اللهب الحقيقي هو لهبُ جهنم، فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك.

المبحث السادس في تعريف المسند إليه بالإشارة:

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة: إذا تعين طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السَّامع، بأن يكون حاضراً محسوساً، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاصّ، ولا مُعيّناً آخر، كقولك: "أتبيع لي هذا، مُشيراً إلى شيء لا تعرف له اسما، ولا وصفاً. أمّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك، فيكون لأغراض أخرى: «أ» بيان حاله في القُرب، نحو: "هذه بضاعتنا".

«ب» بيان حاله في التَّوسط، نحو: "ذاك ولدي".

«ج» بيان حاله في البُعد، نحو: "ذلك يوم الوعيد".

(1) تعظيم درجته بالقُرب، نحو قوله تعالى: ﴿ إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾. أو تعظيم درجته بالبعد، كقوله تعالى: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾. (2) أو التحقير

بالقُرب، نحو قوله تعالى: ﴿ هل هذا إلا بشرٍ مثلُكم ﴾، أو التَّحقير بالبُعد، كقوله تعالى: ﴿ فذلك الذي يدُعُّ اليتيم ﴾. (3) وإظهار الاستغراب، كقول الشاعر [كامل]:

كم عاقلٍ أعيت مذاهبهُ وجاهلٍ تلقاهُ مرزوقَا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصيَّر العالم النحرير زنديقا

(4) كمال العناية وتمييزه أكمل تمييز، كقول الفرزدق [بسيط]:

هذا الذي تعرفُ البطحاء وَطأتهوالبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحَرمُ

ونحو قوله: "هذا أبو الصقر فَرداً في محاسنه". (5) والتَّعريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، نحو قول الفرزدق [طويل]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامع

(6) والتنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾. وكثيراً: ما يُشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعيد تنزيلاً للبُعد عن العيان منزلة البعد عن المكان نحو قوله تعالى: ﴿ ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾.

المبحث السابع في تعريف المسند إليه بالموصولية:

يُؤتى بالمسند إليه اسمُ موصول: إذا تَعيَّنَ طريقاً لإحضار معناه كقولك: "الذي كان معنا أمس سافر"، إذا لم تكن تعرف اسمه أمَّا إذا لم يتعين طريقاً لذلك: فيكون لأغراض أخرى. (1) منها التَّشويق، وذلك فيما إذا كان مضمون الصّلة حُكماً غريباً، كقوله [خفيف]:

والذي حارَت البريَّة فيه حيَوانٌ مستحدثٌ من جَماد

(2) ومنها إخفاء الأمر عن غير المخاطب، كقول الشاعر [كامل]:

وأخذتُ ما جاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتي كما أهوى

(3) ومنها التَّنبيه على خطأ المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿ إنّ الذين تَدعونَ من دون الله عبادٌ أمثالكم ﴾، وكقول الشاعر [كامل]:

إنَّ الذين تُرَونهم إخوانُكم يَشفى غليل صُدورهم أن تُصرَعوا

(4) ومنها التَّنبيه على خطأ غير المخاطب، كقوله [كامل]:

إنَّ التي زعمت فؤادك مَلّها خلعت هواك كما خلعْتُ هوىً لها

(5) ومنها تعظيم شأن المحكوم به، كقول الشاعر [كامل]:

إنَّ الذي سمك السَّماء بني لنا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

(6) ومنها التَّهويل: تعظيماً، أو تحقيراً، نحو: ﴿ فَغشيَهُم من اليم ما غشيهم ﴾. ونحو: "من لم يدرِ حقيقة الحال قال ما قال".

(7) ومنها استهجان التصريح بالاسم نحو: الذي ربّاني أبي.

(8) ومنها الإشارة إلى الوجه الذي يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب، كقوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا وعملُوا الصالحات لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم ﴾.

(9) ومنها التَّوبيخ، نحو: "الذي أحسن اليك قد أسأت اليه".

(10) ومنها الاستغراق، نحو: "الذين يأتونك أكرمهم".

(11) ومنها الإبهام، نحو: "لكلّ نفس ما قدَّمت".

واعلم أنَّ التعريف بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك، غريب النَّزعة يُوقفكَ على دقائق من البلاغة، تؤنسُك إذا أنتَ نظرتَ إليها بثاقب فكرك، وتثلجُ صدرك إذا تأمَّلتَها بصادق رأيك، فأسرارُ ولطائف التَعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها، واعتبر في كل مقام ما تراه مناسباً.

المبحث الثامن في تعريف المسند إليه بأل:

يؤتى بالمسند إليه مُعرّفا (بأل العهدية) أو (أل الجنسية) لأغراض آتية.

أل العهدية: أل العهدية تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجاً بين المتخاطبين، وعهده يكون: «أ» إمّا بتقدم ذكره «صريحاً» كقوله تعالى: ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرَّسولَ ﴾، ويُسمَّى عهداً صريحًا.

«ب» وإمَّا بتقدم ذكره «تلويحاً»، كقوله تعالى: ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ (فالذَّكر)، وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً، إلا أنه إشارة إلى «ما» في الآية قبله :﴿ ربِّ نذَرتُ لك **مَا** في بطني مُحرَّراً ﴾. فإنهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلّا الذكور، وهو المعنى «بما» ويسمى "عهدا كنائياً". «ج» وإما بحضوره بذاته نحو: ﴿ اليوم أكملتُ لكن دينكم ﴾، أو بمعرفة السامع له، نحو: "هل انعقد المجلس"، ويُسمّى: (عهداً حُضورياً).

أل الجنسية:

"أل" الجنسية: وتسمّى (لام الحقيقة)، تدخل على المسند إليه لأغراض أربعة: (1) للإشارة إلى الحقيقة: من حيث هي – بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها – نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق.

وتسمّى (لام الجنس)؛ لأنّ الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد، نحو: "الذهب أثمن من الفضة".

(2) أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾. ومدخولها في المعنى (كالنكرة) فيُعامل مُعاملتها، وتسمى «لام العهد الذهني».

(3) أو للإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة. «أ» بمعونة قرينة «حالية» نحو قوله تعالى: ﴿ عالم الغيب والشهادة﴾؛ أي: كلّ غائب وشاهد. «ب» أو

بمعونة قرينة «لفظية» نحو: ﴿ إنّ الإنسان لفي خُسر ﴾؛ أي كل إنسان، بدليل الاستثناء بعده. ويُسمى «استغراقاً حقيقياً».

(4) أو للإشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً، نحو: "جمع الأمير التُّجار، وألقى عليهم نصائحه"؛ أي: جمع الأمير "تجَّار مملكته" لا تجَّار العالم أجمعَ. ويسمّى "استغراقاً عرفياً".

المبحث التاسع في تعريف المسند إليه بالإضافة:

يؤتى بالمسند إليه معرَّفا بالإضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة. (1) منها أنها أخصر طريق إلى إحضاره في ذهن السامع، نحو: "جاء غلامي"، فإنّه أخصر من قولك: "جاء الغلام الذي لي".

(2) ومنها تعذر التعدد، أو تعسره، نحو: "أجمع أهل الحق على كذا، وأهل مصر كرامٌ".

(3) ومنها الخروج من تبعية تقديم البعض على البعض، نحو: "حضر أمراء الجند".

(4) ومنها التعظيم للمضاف نحو: "كتاب السلطان حضر"، أو التعظيم للمضاف إليه، نحو: "الأمير تلميذي"، أو غيرهما: نحو: "أخو الوزير عندي".

(5) ومنها التحقير للمضاف، نحو: "ولدُ اللّص قادم". أو التحقير للمضاف إليه، نحو: "رفيق زيدٍ لصٌ، أو غيرهما: نحو: "أخو اللصّ عند عمرو".

(6) ومنها الاختصار لضيق المقام لفرط الضَّجر والسآمة، كقول جعفر بن علبة، وهو في السجن بمكة [طويل]:

هواي مع الرّكب اليمانين مُصعد جنيبٌ وجثماني بمكة مُوثقُ

واعلم أن هيئة التركيب الإضافي موضوعة للاختصاص المصحّح؛ لأن يقال: المضاف للمضاف إليه، فإذا استعملت في غير ذلك كانت مجازاً كما في الإضافة لأدنى ملابسة، نحو: "مكرُ الليل"، وكقوله [طويل]:

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسحرهِ سُهيلٌ أذاعت غزلها في القرائب

المبحث العاشر في تعريف المسند إليه بالنّداء:

يُؤتى بالمسند إليه معرفاً بالنداء: لأغراض كثيرة: (1) منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاص، نحو: "يا رجل".

(2) ومنها الإشارة إلى علّة ما يُطلب منه، نحو: "يا تلميذ أكتب الدَّرس".

المبحث الحادي عشر في تنكير المسند إليه:

يؤتى بالمسند إليه نكرة: لعدم علم المتكلم بجهة من جهات التعريف حقيقةً، أو ادعاءً، كقولك: "جاء هنا رجل يسأل عنك"، إذا لم تَعرف ما يعينه من عَلَم، أو صلة أو نحوهما، وقد يكون لأغراض أخرى. (1) كالتَّكثير، نحو قوله تعالى: ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسلٌ من قبلك ﴾، أي: رسلٌ كثيرة. (2) والتقليل، نحو قوله تعالى: ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ﴾، ونحو قوله تعالى: ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾. (3) والتّعظيم والتَّحقير، كقول ابن أبي السمط [طويل]:

له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينهُ وليس له عن طالب العرف حاجب

أي له مانع عظيم، وكثيرٌ عن كل عيب، وليس له مانع قليل، أو حقير عن طالب الإحسان، فيحتمل التّعظيم والتّكثير والتّقليل والتَّحقير. (4) وإخفاء الأمر نحو: "قال رجل إنك انحرفت عن الصَّواب"، تخفي اسمه، حتى لا يلحقه أذىً.

(5) وقصد الإفراد، نحو: "ويلٌ أهونُ من ويلين"؛ أي: "ويل واحد أهون من ويلين".

(6) وقصد النوعية، نحو: "لكل داءٍ دواءٌ"؛ أي: "لكلّ نوع من الدَّاء نوع من الدواء".

علم البيان

البيان لغة: الكشف، والإيضاح، والظهُّور. واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى، فالمعنى الواحد: يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة، في وضوح الدّلالة عليه، فإنك: تقرأ في بيان فضل (العلم) مثلا قول الشاعر [كامل]:

العلم ينهض بالخسيس إلى العلى والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ في المعنى نفسه، كلام الامام عليّ كرم الله وجهه. العلم نهرٌ، والحكمة بحر. والعلماء حول النهّر يطوفون. والحكماء وسط البحر يغوصون. والعارفون في سفن النّجاة يسيرون.

فتجد: أنّ بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسيًّا، يقرِّب إلى فهمك ما يُريد الكلام عنه من فضل (العلم). فهو: يُشبّهه بنهر، ويشبِّه الحكمة ببحر. ويصور لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر، «هُم العلماء»، ويُصور لك أشخاصاً غائصين وسط ذلك البحر، «هم الحكماء»، ويصور لك أشخاصاً راكبين سفُناً ماخرة في ذلك البحر للنَّجاة من مخاطر هذا العالم، «هم أرباب المعرفة». ولا شك: أن هذا المشهد البديع: يستوقف نظرك، ويستثير اعجابك من شدَّة الرّوعة والجمال المستمدّة من التشبيه، بفضل (البيان) الذي هو سر البلاغة.

وموضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، من حيث التشبيه، والمجاز والكناية. **وواضعه**: أبو عبيدة الذي دونَ مسائل هذا العلم في كتابه المسمَّى "مجاز القرآن"، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الامام "عبد القاهر"، فأحكم أساسه، وشيَّدَ بناءه، ورتَّب قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المعُتزّ، وقُدامَة، وأبو هلال العسكري. **وثمرته**: الوقوف على أسرار كلام العرب؛ "منثورِه ومنظومِه"، ومعرفة ما فيه من تفاوُت في فنون الفصاحة، وتبايُن في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز (القرآن الكريم)، الذي حار الجنُّ والإنسُ في مُحاكاته، وعجزوا عن الإتيان بمثله. وفي هذا الفن أبواب، ومباحث.

الباب الأول في التشبيه:

تمهيد: للتّشبيه: روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبُها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتدُ الحواشي، مُتَشعب الأطراف، مُتوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدَوى.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف مع التوضيح، أو وجهٍ من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في اثباتها؛ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة: التشبيه: لغة التمثيل، قال: هذا شبه هذا: ومثيله، والتشبيه: اصطلاحاً عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر، بأداة؛ لغرض يقصد المتكلم للعلم.

وأركان التشبيه أربعة. (1) المشبه: هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره. (2) المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

(3) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف كما سيأتي توضيحه.

(4) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تَذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمرُ في رعيَّته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

تمرين: على التشبيه وبيان أركانه الأربعة.

أنت كالوردة لمساً وشذاً جادها الغيثُ على غُصن نَضر

إنما الناس كالسَّوائم في الرِّز ق سواء جهولهم والعليم

أنت مثل الغصن لينًا وشبيهُ البَدر حُسنا

لك شعرٌ مثلُ حِظى في سوادٍ قد تثنَّى

أنت عندي كليلة القدر في القد ر ولكن لا تستجيب دعائي

العشق كالموت يأتي لا مردّ له ما فيه للعاشق المسكين تدبير

وكن كالشمس تظهر كل يوم ولاتكُ في التغيب كالهلال

بعض الرجال الميت تمنحه أعز شيء ولا يعطيك تعويضاً

وخيل تحاكي البرق لوناً وسرعة وكالصّخر إذ تهوى وكالماء في الجري

أعوام إقباله كاليوم في قصرٍ ويومُ إعراضه في الطول كالحِججِ

أورد قلبي الرّدى غصُنُ عذار بدا

أسود كالكفر في أبيض مثل الهُدى

لا جزى الله دمَعَ عيني خيراً وجزى الله كل خير لساني

نمّ دمعي فليس يكتم شيئا ووجدت اللسان ذا كتمانِ

كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌّ فاستدلوا عليه بالعُنوان

للورد عندي محل لأنه لا يُملُّ

كل الرياحين جندٌ وهو الأمير الأجَلُّ

إن غاب عزوا وباهوا حتى إذا عاد ذلّوا

المبحث الأول في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسِّي، وعقلي: طرفا التشبيه: المشبه، والمشبه به.

(1) **إمَّا حسيَّان؛** أي: مدركان بإحدى الحواس الخمس الظَّاهرة، نحو: "أنتَ كالشمس في الضيّاء"، وكما في تشبيه: الخد بالورد.

و**إمّا عقليان؛** أي مدركان بالعقل، نحو: "العلم كالحياة"، ونحو: "الضلال عن الحق كالعَمى"، ونحو: "الجهل كالموت".

(3) وإمَّا **المشبه حسِّي، والمشبه به عقلي،** نحو: "طبيب السوء كالموت".

(4) وإما **المشبه عقلي، والمشبه به** حِسي، نحو: "العلم كالنّور".

واعلم أن **العقليّ** هو ما عدا الحسيّ، فيشمل المحقق ذهناً: كالرأي والخلق، والحظ، والأمل والعلم، والذكاء، والشجاعة، ويشمل أيضاً الوهميّ، وهو ما لا وجود له، ولا لأجزائه كلّها، أو بعضها في الخارج، ولو وجد لكان مدركا بإحدى الحواس. ويشمل **الوجداني**: وهو ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغمّ، والفرح، والشبع والجوع، والعطش، والرِّي.

المبحث الثاني في تقسيم طرفي التشبيه: باعتبار الإفراد، والتركيب:

طرفا التشبيه: المشبّه والمشبّه به. وهما: (1) إمّا **مفردان؛** أي: "**مطلقان**"، نحو: "ضوؤه كالشمس"، و"خده كالورد". أو مقيدان، نحو: "الساعي بغير طائل كالرَّاقم على الماء"، أو **مختلفان،** نحو: "ثغره كاللؤلؤ المنظوم"، ونحو: "العين الزرقاء كالسّنان"، والمشّبه هو المقيد. وإما **مركبان** تركيباً لم يُمكن إفراد أجزائهما؛ بحيث يكون المركّبُ هيئةً حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت؛ حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجهُ من بعضها دون بعض، اختلّ قصد المتكلم من التشبيه، كقول الشاعر [طويل]:

كأنّ سهيلاً والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامُها

إذ لو قيل كأن سهيلاً إمامٌ، وكأن النجوم صفوف صلاة؛ لذهبت فائدة التشبيه.

(2) أو **مركبان** تركيباً: إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى في قول الشاعر [كاملد]:

وكأنَّ أجرامَ النجوم لوامعاً دُررٌ نُثرنَ على بساط أزرق

حيث شبَّه النجوم اللَّامعة في كبد السَّماء بدرٍّ مُنتثر على بساط أزرق. إذ لو قيل: كأن النجوم دُررٌ، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

(3) وإما **مفرد بمركب**، كقول الخنساء [بسيط]:

أغرّ أبلجُ تأتمّ الهُداةُ بهِ كأنه علمٌ في رأسه نارُ

(4) وإما **مركب بمفرد**، نحو: "الماء المالح كالسّم".

و**اعلم**: أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقاً، بل يكون مركباً، أو مفرداً مقيدا، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً، ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد، والمقيد.

المبحث الثالث في تقسيم طرفي التّشبيه: باعتبار تعدّدهما:

ينقسم طرفا التشبيه؛ المشبه والمشبه به باعتبار تعدّدهما، أو تعدّد أحدهما، إلى أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

(1) فالتشبيه **الملفوف**، هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به؛ بحيث يُؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف، أو غيره، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك، كقوله:

ليلٌ وبدر وغصن شعر ووجه وقَدٌّ

خمر ودُرٌّ ووَرد ريق وثغر وخدّ

وكقوله: تبسُّم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد.

وكقوله: وضوء الشهب فوق الليل بادٍ كأطراف الأسنَّة في الدروع.

(2) والتشبيه **المفروق**، هو جمع كل مشبه مع ما شُبّه به، كقوله [سريع]:

ألنَّشر مسكٌ والوجوه دنا نيرُ وأطراف الأكفِّ عنمْ

(3) وتشبيه **التسّوية**، هو أن يتعدّد المشبّه دون المشبه به، كقوله: "صُدغ الحبيب وحالي كلاهما كاللّيالي، وثغره في صفاء وأدمعي كاللألي".

سُمِّي بذلك: للتّسوية فيه بين المشبهات.

(4) وتشبيه **الجمع**، هو أن يتعدَّد المشبه به، دون المشبه، كقوله [سريع]:

كأنما يبسمُ عن لؤلؤ مُنضّدٍ أو بَرَدٍ أوْ أقاحْ

سمُى بتشبيه الجمع للجمع فيه بين ثلاثة مشبهات بها، وكقوله [مجزوء الكامل]:

مرّت بنا رأد الضُّحى تحكي الغزالة والغَزالا

وكقوله [خفيف]:

ذاتُ حسنٍ لوِ استزادتْ منَ الحســـنِ إليه لما أصابتْ مزيدا

فهِيَ الشّمس بهجةً والقضيب اللّدنُ قدًّا والريمُ طرفاً وجيدا

المبحث الرابع في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه:

وجه الشبه: هو الوصف الخاصّ، الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه إمّا حقيقةً، كالبأس في قولك: "زيدٌ كالأسد". وإمّا تخيلًا، كما في قوله [كامل]:

يا من له شعرٌ كحظّي أسودُ جسمي نحيل من فراقك أصفرُ

(1) وهو **تشبيه تمثيل**، وهو ما كان وَجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدّدٍ؛ حسيًّا كان أو غيرَ حسيٍّ، كقوله [طويل]:

وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهرِ ثم يغيبُ

فوجهُ الشبه سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة؛ إذ يبدو هلالا، فيصير بدراً، ثم ينقصُ حتى يدركه المحاق. ويسمى تشبيه التمثيل.

(2) و**تشبيه غير تمثيل**، وهو مالم يكن وجهُ الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، نحو: "وجَهه كالبدر"، وكقول الشاعر [كامل]:

لا تطلبنّ بآلة لكَ رتبةً قلمُ البليغ بغير حظٍّ مغزلُ

فوجه الشبه قلّة الفائدة، وليس مُنتزعاً من متعدد.

(3) و**مفصّل**، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: "طبعُ فريد كالنسيم رقَّة"، و"يده كالبحر جوداً"، و"كلامه كالدُّر حسناً"، و"ألفاظه كالعسل حلاوة".

(4) و**مُجمل**، وهو ما يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه، نحو: "النحو في الكلام كالملح في الطعام"، فوجه الشبه هو الإصلاح في كلٍّ. وكقوله [مجزوء الرمل]:

إنما الدنيا كبيتٍ نسجهُ من عنكبوت

و**اعلم** أن وجه الشبه المجمل إما أن يكون خفياً، وإما أن يكون ظاهراً، ومنه ما وصف فيه أحد الطرفين، أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه، ومنه ما ليس كذلك.

(5) و**قريب مبتذل**، وهو ما كان ظاهر الوجه ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به؛ من غير احتياج إلى شدّة نظرٍ وتأمل، لظهور وجهه بادئ الرأي. وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه، كتشبيه الخدَّ بالورد في الحُمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل، كتشبيه الوجه

بالبدر في الإشراق والاستدارة، والعيون بالنرجس، وقد يتصرف في القريب بما يخرجه عن ابتذاله إلى الغرابة، كقول الشاعر [كامل]:

لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا إلّا بوجهٍ ليس فيه حياءُ

فإنّ تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتذل، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرج وجه الشبه من الابتذال إلى الغرابة: وذلك بالجمع بين عدة تشبيهات، كقول الشاعر [سريع]:

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضّدٍ أوِ بردٍ أو أقاحْ

أو باستعمال شرط، كقوله [كامل]:

عزماتُه مثلُ النجوم ثواقِبالو لم يكن للثّاقبات أفولُ

(6) و**بعيدٌ غريبٌ**، وهو ما احتاج في الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكر وتدقيق نظر، لخفاء وجهه بادئ الرأي، كقوله [مشطور الرجز]: والشمس كالمرآة في كفّ الأشَلْ

فإنّ الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق، والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط؛ حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض، و**حكم** وجه الشبّه أن يكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وإلاّ فلا فائدة في التشبيه.

المبحث الخامس في تشبيه التمثيل:

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره؛ لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فإن كان مدحاً كان أوقع، أو ذمّا كان أوجع، أو بُرهانا كان أسطع، ومن ثم يحتاجُ أُلى

كدّ الذهن في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعدِّدة، حسيّة كانت أو غير حسيّة، لتكوّن وجه الشبه، كقول الشاعر [بسيط]:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآةَ تبرٍ بدتْ في كفِّ مرتعش

فمثّل الشمس: حين تطلع حمراء لامعة مضطربة بمرآة من ذهب؛ تضطرب في كفّ ترتعشٍ.

و**تشبيه التمثيل** نوعان: الأول: ما كان **ظاهر الأداة**، نحو قوله تعالى: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾، فالمشبه: هم الذين حُمّلو التوراة، ولم يعقلوا ما بها، والمشبه به "الحمار" الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، والأداة الكاف، ووجه الشبه "الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة".

الثاني: كان **خفي الأداة**: كقولك للذي يتردّد في الشيء بين أن يفعله، وألاّ يفعله (أراك تقدم رجلا وتُؤخر أخرى)؛ إذ الأصل: "أراك في ترددك مثل من يقدم رجلا مرة، ثم يؤخّرها مرة أخرى"، فالأداة محذوفة، ووجه الشبه هيئة الإقدام والإحجام المصحوبين بالشَكَ.

مواقع تشبيه التمثيل: لتشبيه التمثيل موقعان:(1) أن يكون في مفتتح الكلام، فيكون قياساً موضحاً، وبرهانا مصاحباً، وهو كثير جداً في القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿ مثلُ الذين يُنفقونَ أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابلَ في كل سنبلةٍ مائة حبة ﴾. (2) ما يجيء بعد تمام المعاني، لإيضاحها وتقريرها، فيُشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، نحو قوله [طويل]: وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولابدّ يوما أن تُرد الودائع

ونحو قوله [بسيط]: لا ينزلُ المجد إلا في منازلنا كالنّوم ليس له مأوى سوى المقل

تأثير تشبيه التمثيل في النفس: إذا وقع التمثيل في صدر القول: بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان، ليقنع السامع، وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان (1) إمّا دليلا على إمكانها، كقول المتنبي [وافر]:

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكنْ معدن الذهب الرغامُ

(2) وإمّا تأييداً للمعنى الثابت، نحو [بسيط]:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وعلة هذا: أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفيّ إلى جني، ومما تجهله إلى ما هي به أعلم، ولذا تجد النفس من الأريحية ما لا تقدُر قدره، إذا سمعت قول أبي تمام [طويل]:

وطول مُقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيتُ الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وبعد: **فالتمثيل** يكسب القول قوة، فإن كان في المدح كان أهزّ للعطف، وأنبل في النفس، وإن كان في الذّمّ كان وقعه أشدّ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وإن كان افتخارا كان شأوهُ أبعد، كقول من وصف كأساً علاها الحباب [كامل]:

وكأنّها وكأنّ حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقَّط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

المبحث السادس في أدوات التشبيه:

أدوات التشبيه هي ألفاظ تدلّ على المماثلة، كالكاف، وكأنَّ ومثل، وشبه، وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه كـ"يحكي"، و"يُضاهي" و"يضارع"، و"يماثل"، و"يساوي"، و"يشابه"، وكذا أسماء فاعليها. فأدوات التشبيه بعضها: اسم، وبعضها فعلٌ، وبعضها حرف، وهي إمّا **ملفوظة**، وإما **ملحوظة**، نحو: "فاروق كالبدر"، و"أخلاقه في الرقة النسيم"، ونحو: "اندفع

الجيش اندفاع السيل"، أي كاندفاعه. و**الأصل** في الكاف، ومثل، وشبه، من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليها المشبه به لفظاً، أو تقديراً. و**الأصل في** كأنّ، وشابه، وماثل، وما يُرادفها، أن يليها المشبه، كقوله [طويل]:

كأنّ الثرّيا راحةٌ تشبِر الدّجى لتنظر طال الليل أم قد تعرّضا

وكأن تفيد التشبيه إذا كان خبرهُا جامداً، نحو: "كأن البحر مرآة صافية".

وقد تفيد الشك إذا كان خبرهُا مشتقًّا، نحو: كأنّك فاهم، وكقوله [كامل]:

كأنَّك من كل النفوس مركَّبٌ فأنتَ إلى كلّ النفوس حبيب

وقد يغنى عن أداة التشبيه «فعلٌ» يدلُّ على حال التشبيه، ولا يعتبر أداة. فإن كان (الفعل لليقين) أفاد قرب المشابهة، لما في فعل اليقين من الدلالة على تيقن الاتحاد وتحقّقه، وهذا يُفيد التشبيه مبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿ فلمّا رأوهُ عارضاً مستقبل أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾، ونحو: "رأيت الدنيا سراباً غرّاراً". وإن كان (الفعل للشّك) أفاد بعدها لما في فعل الرّجحان من الإشعار بعدم التحقق، وهذا يفيد التّشبيه ضعفاً نحو قوله تعالى: ﴿ وإذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾، وكقوله [كامل]: قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها

سحباً مزرَّدةً على أقمار

ونحو: قوله تعالى: ﴿ حورٌ عينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾، ونحو: قوله تعالى: ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾، وكقول الشاعر [سريع]: والوجهُ مثلُ الصبح مبيضٌّ والفرع مثل الليل مُسودُّ

ضدَّان لما استجمعا حسنا والضّدّ يظهر حسنَهُ الضِّدُّ

المبحث الأول في تعريف المجاز وأنواعه:

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، و**العلاقة**: هي المناسبة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ، قد تكون (المشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرها. فإذا كانت العلاقة (**المشابهة**) فالمجاز (**استعارة**)، وإلا فهو (**مجاز مرسل**). و**القرينة**: هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ، قد تكون **لفظية**، وقد تكون **حالية**، كما سيأتي. وينقسم **المجاز** إلى أربعة أقسام: **مجاز مفرد مرسل**، و**مجاز مفرد بالاستعارة** «ويجريان في الكلمة»، و**مجاز مركب مرسل**، و**مجاز مركب بالاستعارة** «ويجريان في الكلام».

ومتى أطلق المجاز، انصرف إلى (**المجاز اللّغوي**) وأنواع المجاز كثيرة: أهمها (**المجاز المر**سل)، وهو المقصود بالذات، وسيأتي مجاز، يسمى «**المجاز العقلي**»، ويجرى في الإسناد.

المبحث الثاني في المجاز اللّغوي المفرد المرسل، وعلاقاته:

المجاز المفرد المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي؛ لملاحظة علاقة غير (المشابهة) مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعي. وله علاقات كثيرة، أهمها: (1) **السببية**: وهي: كون الشيء المنقول عنه سبباً، ومؤثراً في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب، وأريد منه المسبب، نحو: "رعت الماشية الغيث"؛ أي: النبات؛ لأن الغيث أي (المطر) سبب فيه. وقرينته (**لفظية**)، وهي (رعت)؛ لأن العلاقة تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه، ونحو: "لفلانٍ عليَّ يدٌ"؛ تريد باليد: "النعمة"؛ لأنها سبب فيها. (2) و**المسببية**: هي أن يكون المنقولُ عنه مسبباً، وأثراً لشيء آخر، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب، وأريد منه السبب، نحو قوله تعالى: ﴿ وينزل لكم من السماء رزقا ﴾؛ أي: مطراً يسبِّب الرزق. (3) و**الكلية**: هي كون لا شيء متضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الكلّ، وأريد منه الجزء، نحو قوله تعالى: ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾؛ أي: أناملهم، و**القرينة** (**حالية**) وهي استحالة إدخال الأصبع كلّه في الأذن، ونحو: "شربت

ماء النيل"، والمراد بعضهُ، بقرينة شربت. (4) و**الجزئية**: هي كون المذكور ضمن شيء آخر، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء، وأريد منه الكلّ، كقوله تعالى: ﴿ فتحريرُ رقبة مؤمنة ﴾، ونحو: "نشر الحاكم عيونه في المدينة"؛ أي الجواسيس، فالعيون مجاز مرسل، علاقته (الجزئية)؛ لأنّ كلّ عين جزء من جاسوسها، والقرينة **الاستحالة**.

(5) و**اللازميّة**: هي كون الشيء يجب وجودُه، عند وجود شيءٍ آخر، نحو: "طلع الضوء"؛ أي: الشمس، فالضوءُ مجاز مرسل علاقته (**اللازميّة**)؛ لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاصّ، وهو عدم الانفكاك.

(6) و**الملزومية**: هي كون الشيء يجب عند وجوده وجودَ شيء آخر، نحو: "ملأت الشمس المكان"؛ أي: الضوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته (**الملزومية**)؛ لأنها متى وجدت وجد الضوء، والقرينة «ملأت».

(7) و**الآلية**: هي كون الشيء واسطةً لإيصال أثر شيء إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو قوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾؛ أي: ذكراً حسناً، (فلسان) بمعنى "ذكر حسن" مجاز مرسل، علاقته (**الآلية**)؛ لأن اللسان آلة في الذكر الحسن.

(8) و**التقييد** ثم **الإطلاق**: هو كون الشيء مقيداً بقيد أو أكثر، نحو: "مشفر زيد مجروح"، فإن المشفر لغةً: شفة البعير، ثم أريد هنا مطلق شفة، فكان في هذا منقولا عن المقيد إلى المطلق، وكان **مجازا مرسلا**، علاقته **التقييد**، ثم نقل من مطلق شفة، إلى شفة الإنسان، فكان مجازاً مرسلا بمرتبتين، وكانت علاقته (**التقييد والإطلاق**).

(9) و**العموم**: هو كون الشيء شاملاً لكثير، نحو قوله تعالى: ﴿ أم يحسدون الناس ﴾؛ أي «النّبيّ» صلى الله عليه وسلم، فالناس مجاز مرسل، علاقته العموم، ومثله قوله تعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾؛ فإن المراد من الناس واحد، وهو «نعيم بن مسعود الاشجعي».

(10) و**الخصوص**: هو كون اللفظ خاصًّا بشيء واحد، كإطلاق اسم الشخص على القبيلة، نحو: ربيعة، وقريش.

(11) و**اعتبار ما كان**: هو النظر إلى الماضي؛ أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه، نحو قوله تعالى: ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم﴾؛ أي الذين كانوا يتامى ثم بلغوا، فاليتامى: **مجاز مرسل**، علاقته (**اعتبار ما كان**)، وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على الحاضر حقيقة، وعلى ما عداه مجاز.

(12) و**اعتبار ما يكون**: هو النظر إلى المستقبل، وذلك فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى: ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾؛ أي: عصيرًا يؤول أمره إلى خم؛، لأنه حال عصره لا يكون خمراً، فالعلاقة هنا: اعتبار (**ما يؤول إليه**)؛ ونحو قوله تعالى: ﴿ ولا يلدوا إلّا فاجراً كفار﴾، والمولود حين يولد، لا يكون فاجراً، ولا كافراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر، وأريد به الرجل الفاجر، والعلاقة، اعتبار (ما يكون).

(13) و**الحالّيّة**: هي كون الشيء حالّا في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحالّ، وأريد المحلّ؛ لما بينهما من الملازمة، نحو قوله تعالى: ﴿ ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾؛ فالمراد من (الرحمة) الجنة؛ التي تحلّ فيها الرحمة، فهم في جنة تحلّ فيها رحمة الله، ففيه مجاز مرسل، علاقته (**الحالّية**)، وكقوله تعالى: ﴿ خذوا زينتكم عند كلّ مسجد ﴾؛ أي لباسكم، لحلول الزينة فيه، فالزينة حالّ واللباس محلّها، ونحو: "أرى بياضاً يظهر ويختفي"، و"أرى حركة تعلو وتسفل".

(14) و**المحلّيّة**: هي كون لا شيء يحلُّ فيه غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحلّ، وأريد به الحالّ فيه، كقوله تعالى: ﴿ فليدعُ ناديهُ ﴾، والمراد: من يحلّ في النادي. وكقوله تعالى: ﴿ يقولون بأفواههم ﴾؛ أي: ألسنتهم؛ لأنّ القول لا يكون عادة إلا بها.

(15) و**البدلية**: هي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾؛ والمراد: الأداء.

(16) و**المبدلية**: هي كون الشيء مبدلاً منه شيءٌ آخر، نحو: "أكلت دم زيد"؛ أي: ديتهُ، فالدم (مجاز مرسل)، علاقته (**المبدلية**)؛ لأن الدم: **مبدل** عنه (الدية).

(17) و**المجاورة**: هي كون الشيء، مجاوراً لشيء آخر، نحو: "كلمت الجدار والعامود"؛ أي: الجالس بجوارهما، فالجدار والعامود مجازان مرسلان (المجاورة).

(18) و**التعلق الاشتقاقي**: هو إقامة صيغة مقام أخرى، وذلك. (أ) كإطلاق المصدر على اسم المفعول، في قوله تعالى: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾؛ أي مصنوعه. (ب) وكإطلاق اسم الفاعل على المصدر، في قوله تعالى: ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾؛ أي تكذيب. (ج) وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول، في قوله: ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾؛ أي لا معصوم. (د) وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿ حجاباً مستورا ﴾؛ أي ساتراً.

والقرينة على مجازية ما تقدم، هي ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلي.